القدس في المناهج المدرسية المغربية

د. محمد رضوان

باحث مغربي متخصص في شؤون القدس

الملخص

وضعت هذه الدراسة موضوعة القدس والقضية الفلسطينية في دائرة الضوء لاستكشاف حجم حضورها في المناهج التعليمية المغربية، ومحاولة التعرف على مدى هذا الحضور مقارنة بالاهتمام الرسمي والشعبي الكبير لدى المغاربة بدعم القدس وقضية فلسطين.

وانطلقت الدراسة من تساؤلات عن حضور القدس والقضية الفلسطينية في المناهج التعليمية المغربية، وِفق تطور هذه المناهج، منذ عهد الحماية الفرنسية إلى اليوم، مرورًا بفترة ما بعد الاستقلال، مع التركيز على المقررات الدراسية الرسمية المعتمدة في التعليم العمومي والخاص.

ولاحظت الدراسة أن مقاربة موضوع القدس في المناهج التعليمية المغربية تقوم على المنظور العام للقضية الفلسطينية، وتعتبر مسألة القدس جزءًا لا يتجزأ من قضية فلسطين بشكل عام، مع إبراز البعد الديني الخاص للمقدسات الإسلامية بمدينة القدس كالمسجد

الأقصى وقبة الصخرة وحائط البراق.

وبالنسبة لتراجع حجم اهتمام المقررات الدراسية المغربية بموضوعة القدس والقضية الفلسطينية، فإن الدراسة استنتجت أن ذلك يندرج ضمن منحى عام يشمل معظم المناهج التعليمية بالعالم العربي بدعوى تطوير هذه المناهج، وفق مقاربة إدارة الجودة الشاملة في التعليم، التي يفرضها التسارع المعرفي والتكنولوجي والاحتياجات الجديدة للمتعلمين والمجتمع.

وتوقفت الدراسة على خلفيات الجدل، الذي أثير بالمغرب في الفترة الأخيرة حول تراجع حضور القدس والقضية الفلسطينية في المناهج التعليمية، والذي وصل صداه إلى البرلمان المغربي، وخاض فيه مهتمون بالشأن التربوي ورواد شبكات التواصل الاجتماعي بآراء وتعليقات مختلفة؛ استدعت تدخل المسؤولين عن قطاع التعليم لتوضيح ملابسات هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: المغرب – فلسطين– القدس– المناهج التعليمية– المقررات المدرسية.

مدخل

تتعرض مدينة القدس لسياسة تهويد واسعة تشمل طمس معالمها وهويتها الحضارية والعمرانية والدينية والتاريخية، وترتكز هذه السياسة على إستراتيجية الحركة الصهيونية القائمة على تسخير الإمكانات والأساليب كافة، لتجسيد حلم خُرافي في إقامة وطن استيطاني يهودي بفلسطين يتخذ من القدس عاصمة «أبدية» له، بدعم من القوى الخاضعة للتأثيرات الصهيونية العالمية.

لذلك، ما لبثت المخططات الإسرائيلية تستهدف تهويد هذه المدينة بإجراءات عملية كالحفريات تحت المسجد الأقصى، وبناء الكنس اليهودية، ومضايقة العرب والمسلمين وطردهم منها، واستقدام اليهود ورفع أعدادهم، فضلًا عن تغيير ملامح المدينة وبناء المستوطنات، وهدم المنازل والأحياء وحارات المسلمين كحارة المغاربة.

لكن هذه المخططات الإسرائيلية على الأرض واكبتها جهودٌ لا تقلُّ سُعارًا لتهويد المدينة في عقول الأفراد والمجموعات ونفوسهم داخل كيان الاحتلال الإسرائيلي، وكذلك لدى أبناء فلسطين المحتلة، من خلال نشر فكر الاحتلال والتهويد وثقافتها عبر وسائط متعددة، وفي مقدمتها المناهج التعليمية، والمقررات الدراسية لتلاميذ وطلبة المدارس والجامعات (رضوان ن.، 2022، ص: 79).

وخارج كيان الاحتلال الإسرائيلي، تمارس الحركة الصهيونية تأثيرها وضغوطها لتكييف مضامين المناهج التعليمية المتعلقة بتاريخ القدس وواقعها، وفق ادعاءاتها.

ويخشى بعض التربويين من أن يساهم ضعف حضور موضوعة القدس، وما تتعرض له من عملية تهويد غير مسبوقة، بصورة غير مباشرة، في دعم مخططات إسرائيل وادعاءاتها وروايتها الباطلة عن القدس في نفوس الناشئة من أبناء الأمة العربية والإسلامية.

وفي المغرب، كما في العديد من البلدان العربية، تحضر موضوعة القدس ضمن محور تاريخ القضية الفلسطينية وتطوراتها في المناهج التعليمية، إلا أن مؤاخذات بعض المتخصصين في مجال التربية والتعليم ترى أن حجم تناول هذا الموضوع في المقررات الدراسية لا يعكس حجم الاهتمام الواسع، الرسمي والشعبي، بفلسطين عامة وبالقدس على وجه الخصوص، وهو ما ترصده هذه الدراسة.

أهمية الدراسة وأهدافها

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول موضوع القدس في المناهج الدراسية المغربية غير الجامعية، وهو موضوع لم يسبق أن شملته دراسة علمية وافية تقوم على مسح المناهج والمقررات التعليمية المغربية.

وتستعرض مضامين هذه الدراسة خصائص تناول موضوعة القدس في المقررات المدرسية المغربية، وحجم حضورها مقارنة بالاهتمام الشعبي والرسمي للمغاربة بالقضية الفلسطينية عامة، وقضية القدس خاصة.

إشكالية الدراسة

بالرغم من الاهتمام الكبير للمغاربة، تاريخيًّا وثقافيًّا ونضاليًّا، بقضية القدس، إلا أن ذلك لا ينعكس بالصورة الكافية في المناهج الدراسية المغربية، التي يُؤاخَذُ عليها ضعف حضور موضوعة القدس بها، والاكتفاء ببعض الإشارات إليها، بل وغيابها في المناهج الدراسية الابتدائية التي تعد مرحلة تعليمية مهمة للتلاميذ تعنى بترسيخ القيم والمفاهيم.

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الورقة البحثية على منهجية «المسح» للمنهج الدراسي المغربي للأسلاك التعليمية الثلاثة دون السلك الجامعي؛ أي الاكتفاء بالسلك الابتدائي، والإعدادي، والثانوي. وذلك للوقوف على ملامح مقاربة القدس في المنهج التعليمي المغربي عبر تطوره التاريخي من جهة، وتدرج مستوياته من جهة ثانية.

عيّنة البحث

ركزت هذه الورقة على المنهاج التعليمي الرسمي المعتمد في المدارس العمومية والخاصة، ولاسيما في المقررات التي يُفترض أنها الأنسب لتناول موضوعة القدس كمقررات التربية الإسلامية، والتاريخ، واللغة العربية، والاجتماعيات.

التساؤلات التي يسعى الباحث للإجابة عليها

هناك تساؤلات عديدة يسعى الباحث للإجابة عليها، منها:

- هل كان هناك اهتمام بموضوع القدس والقضية الفلسطينية عند نشأة المنهج التعليمي بالمغرب؟
- إلى أي حد انعكس الاهتمام الرسمي والشعبي بقضية القدس في تحديث المناهج التعليمية بالمغرب؟
- ضمن أي مستوى تعليمي يبرز حضور موضوع القدس في المقررات المدرسية؟

- ما هي ملامح مقاربة موضوع القدس في المناهج التعليمية؟
- ما هي خلفيات الجدل بشأن هذا الموضوع، والذي أثير في الفترة الأخيرة بالوسط المغربي؟

المقدمة

يُولي المغاربة اهتمامًا ملحوظًا بقضية القدس، على غرار كثير من الشعوب العربية والإسلامية، ويتجلى هذا الاهتمام في مظاهر ونشاطات وجهود متعددة ومتنوعة؛ سياسية وثقافية ومادية وتربوية. ويعود اهتمام المغاربة بالقدس إلى عوامل واعتبارات مختلفة، منها على الخصوص؛ ما يعدّونَهُ روابط تاريخية ووجدانية بينهم وبين هذه المدينة المقدسة منذ العهود الإسلامية الأولى، وتكثفت هذه الروابط بصفة خاصة منذ العصر الأيوبي.

ويطيب للمغاربة في سردياتهم عن القدس الإشارة إلى دور أسلافهم في المساهمة في عمليات الجهاد التي خاضها صلاح الدين الأيوبي لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين، وفك الحصار الفرنجي عن سواحل الشام، الذي لم تتمكن أساطيل الإسكندرية آنذاك من صدِّهِ لضعفها وقلة عددها.

وبالنسبة للمغاربة، فإن للقدس مكانة دينية عالية تكاد تتماهى عندهم مع مكة المكرمة والمدينة المنورة، لذلك كانت أفواج حجيجهم في القرون الماضية تحرص على «تقديس حجِّها»؛ أي المرور على القدس وزيارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة لاستكمال شعائر حجها عملًا بالحديث الشريف (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...).

وكان من حصيلة هذين العاملين، التاريخي والديني، أن استقرت أعداد من أهالي الغرب الإسلامي، ومن ضمنهم سكان المغرب الأقصى، في القدس بجوار المسجد الأقصى وتحديدًا في البقعة التي أوقفها عليهم الملك الأفضل في سنة 589هـ، والتي ستتوسع لتصبح ما صار يُعرف بحارة المغاربة.

ظلت هذه الحارة، إلى جانب الأوقاف أو الأحباس، تجسد ارتباط المغاربة بالقدس، وظل هذا الارتباط يتعزز، مع مرور الوقت، ديمغرافيًّا ووجدانيًّا وحتى سياسيًّا ودبلوماسيًّا في الوقت الحالي من خلال رئاسة العاهل المغربي للجنة القدس، وجهود وكالة بيت مال القدس لخدمة المدينة ودعم سكانها المقدسيين عن طريق مشاريع وبرامج متنوعة، يتصل بعضها بمجالات التعليم والتربية والطفولة كتقديم المنح الدراسية، وتنظيم مخيمات صيفية لتلاميذ وأطفال القدس بالمملكة وتمكينهم من الالتقاء بزملائهم من التلاميذ والأطفال المغاربة.

وفي ميدان النشاطات الأهلية، ولاسيما المرتبطة بالأحزاب السياسية والنقابات العمالية وجمعيات المجتمع المدني، يحتل موضوع القدس موقعًا رئيسًا في الخطابات والمبادرات والتحركات بالشارع المغربي منذ أن كان المغرب لا يزال تحت الحماية الفرنسية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، وتواصل ذلك في مرحلة الاستقلال وإلى غاية اليوم.

لكن، إلى أي حد ظل المنهج التعليمي بالمغرب، خلال هذه المراحل، يعكس هذا الحضور وهذا الاهتمام الرسمي والشعبي، التاريخي والديني والسياسي، بالقدس؟

لمحة عن نشأة مناهج التعليم بالمغرب وتوجهاته بتزامن مع إرهاصات القضية الفلسطينية

يمكن القول إن المنهج التعليمي المغربي الحديث نشأ في فترة متزامنة مع البدايات المبكرة للقضية الفلسطينية في مطلع القرن العشرين، وهي الفترة التي كان المغرب فيها خاضعًا لسلطة الحماية الفرنسية الاستعمارية، فيما كانت فلسطين تقع تحت الانتداب البريطاني الذي مهَّد للاستيطان اليهودي الإسرائيلي.

لكن من المثير في تاريخ التعليم بالمغرب خلال هذه المرحلة أن الفرنسيين لما قدموا إلى البلاد لفرض سلطة الحماية الاستعمارية، وجدوا بالمغرب شكلًا من التعليم الحديث تابعًا للمدارس اليهودية المتأثرة بأصداء الحركة الصهيونية داخل صفوف اليهود المغاربة (الجابري، 1985، ص: 14).

ويبدو أن أجواء التعايش التي سادت المجتمع المغربي المُكوَّن من روافد ثقافية متنوعة شجعت الطائفة اليهودية على ممارسة أنواع من الأنشطة، من جملتها إنشاء عدة مدارس عصرية في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك في مختلف المدن المغربية. (الجابري، 1985، ص: 15).

وحسب الجابري، فإن هذا التعليم الذي وجدته الحماية الفرنسية بالمغرب (20 مدرسة سنة 1908، بها نحو 4000 طفل) كان يتخذ من اللغة الفرنسية لغة علم وثقافة، فشجعته وأمدته بالمساعدة.

لكن إلى جانب هذه المدارس اليهودية، وجدت الحماية الفرنسية أيضًا بالمغرب مدارس للجاليات الأوروبية التي كانت تعيش بالمغرب في تلك المرحلة، وكان من هذه المدارس في عام 1908 حوالى (13) مدرسة إسبانية و(4) مدارس إنكليزية إضافة إلى مدارس فرنسية.

ولا شك أن هذه المدارس، اليهودية والأوروبية، والتي كانت متأثرة بأصداء الحركة الصهيونية العالمية وبتأثيرات العقلية الاستعمارية، في وقت بدأت فيه إرهاصات القضية الفلسطينية، لم يمكنها أن تُلقِّن روادها من التلاميذ والطلبة، سوى أفكار الحركة الصهيونية والحركة الاستعمارية بخصوص تاريخ القدس وفلسطين في حال التطرق إليهما في مناهجهما التعليمية.

أما بالنسبة للمغاربة المسلمين، فقد تم إخضاع كثير منهم لنوع من التعليم والتكوين والمعرفة والثقافة، تساهم في إرساء قواعد الاستعمار وخدمة مصالحه، ونشر أفكاره ولغته.

وسعى الفرنسيون إلى ذلك وِفق رؤية استعمارية للمجتمع المغربي وهويته وتاريخه تقوم على تصنيفهم بشكل تعسفي على أساس طائفي وعنصري، بهدف تفكيكه والسيطرة على مكوناته..

وكان هذا المسعى واضحًا في خطابات وتوجيهات وكذلك مخططات سياسة الحماية الفرنسية بالبلاد، (الجابري، 1985، ص: 18).

كان «هـــاردي»، ومهمته آنذاك في المغرب كانت تـــوازي وزير التعليم، يحث على وضع برامج تعليمية تراعي تصوره الطائفي والعرقي للبلاد. وبالنســـبة إليه، فإن ســـكان المغرب يتكونون من ثـــلاث طوائف، وهي المســـلمون واليهود والأروبيون، وبالنســـبة للتكوين العنصري، فإن هوية هؤلاء السكان أصلها بربري (أمازيغي).

ولتجسيد هذه الرؤية، عمدت الحماية الفرنسية إلى إنشاء مدارس خاصة بكل واحدة من هذه «الطوائف» و«الأعراق»، التي لم يعرفها المغاربة في تاريخهم، وذلك لتكريس الانقسام في المجتمع، وإضعاف الشعور بوحدته، وضرب لغته، والتشويش على انتمائه وهويته وتاريخه.

كانت عملية شحن الناشئة من الأطفال والشباب والتلاميذ المغاربة بالأفكار والتوجهات غير الإســـلامية، وبلغة أجنبية عنهم، تتم في وقت كان فيه المحيط العربي والإسلامي يعرف تحولات وأحداثًا قوية وعنيفة، منها التطورات المتلاحقة في فلســـطين، وبوادر الصراع من أجل خلق كيان استيطاني عليها تحت الانتداب البريطاني وفي ظل هجمات الحركة الصهيونية العالمية، التي جعلت من فلسطين والقدس مطمعًا لها وهدفًا رئيسًا لتحركاتها.

لكن الاستعمار الفرنسي لم ينجح في قطع وشائج الارتباط الروحي والوجداني بين المغاربة وإخوانهم في فلســـطين والقدس، وهي وشـــائج ضاربة في عمق عقيـــدة المغاربة وتاريخهم الطويل، جعلتهم دومًا على يقظة تُجاه ما كان يحدث في فلسطين والقدس الشريف.

وعندما اعتدى اليهود على الأماكن المقدســـة في فلســـطين سنة 1929م، وانتهكوا حُرمة أرض البراق الشريـــف التي تقع في حي المغاربة، وعلموا بانتفاضة إخوانهم الفلســـطينيين عـــلى تلك الانتهاكات عن طريق المظاهرات والاحتجاجات التي كان يتزعمها المفتي الحاج أمين الحســـيني، قام المغاربة، وفي طليعتهم الشباب الذين كان الاستعمار يسعى إلى فرنستهم وتغريبهـــم وقطع ارتباطهم بقضايا وطنهم وأمتهم عن طريق التعليم، باســـتنكار ما قام به اليهود المتطرفون من اعتداء، وكذلك تقديم عرائض احتجاج للقنصل البريطاني، كما جُمعت اكتتابات لفائدة المنكوبين والشهداء في القدس وفلسطين (القادري، 1989، صفحة 10).

ويبدو أن معاناة المغاربة من سياسة الاستعمار الفرنسي كانت تزيد في حِدّة وَعيِهم بما كان يُخطّطُ من مؤامرات صهيونية على يد الانتداب البريطاني في فلسطين والقدس، وكان القادة الوطنيون المغاربة يتصدون لتلك المؤامرات الاستعمارية الفرنسية والبريطانية والصهيونية في شتى الميادين بما فيها التعليم والصحافة، فأسس عدد من قادة الحركة الوطنية المدارس الخصوصية الحديثة لتدريس أبناء المغاربة مقررات تُحافظ على ثقافتهم وهويتهم ولغتهم الأصيلة، كما أسسوا عددًا من الصحف لمناهضة تلك السياسات والمؤامرات.

ولمّا سمع هؤلاء القادة الوطنيون بالوعد المشؤوم الذي أعطاه الإنكليز لليهود كي يؤسسوا وطنًا قوميًّا لهم في فلسطين، وبلغهم تحركات الحاج أمين الحسيني لعقد مؤتمر إسلامي بالقدس للنظر في هذه القضية، قرر ثلاث شخصيات مرموقة من رجال الوطنية والتعليم بالمغرب حضور هذا المؤتمر تعبيرًا منهم عن تضامن المغاربة مع الشعب الفلسطيني، وكان ذلك في سنة 1931م (القادري، 1989، ص: 9).

أما عندما سمع المغاربة بقرار تقسيم فلسطين وإنشاء كيان «دولة إسرائيل»، فقد ثارت حميتهم، ولم يكتف شبابهم بالاحتجاجات والاستنكارات، بل تطلع عددٌ منهم للجهاد والمقاومة، فتوجه كثير منهم إلى القاهرة والأردن طالبين بواسطة مكتب المغرب العربي الذي كان مقره بالعاصمة المصرية أن يُسجلوا في قائمة المتطوعين لمعركة استخلاص أرض فلسطين من قبضة اليهود (القادري، 1989، ص: 10).

وهكذا يظهر أن الاستعمار الفرنسي لم ينجح من خلال مخططاته، التي شملت تغييب قضية فلسطين والقدس وقضايا عربية وإسلامية أخرى في المناهج التعليمية التي صاغها لتلاميذ وطلبة المدارس، في القضاء على وعي المغاربة، وفي طليعتهم التلاميذ والطلبة والمدرسون، بهذه القضايا وحضورها في شعورهم وتحركاتهم رغم مضايقات الاستعمار وسياساته القمعية.

وإذا ظل الوعي بقضايا الأمة العربية والإسلامية، وفي طليعتها قضية فلسطين والقدس، مُتقدًا في وعي المغاربة سواء أثناء أو بعد زوال الحماية الفرنسية، فإن النظام التعليمي

بالمغرب، وعلى غرار البلدان المغاربية التي خضعت للاستعمار ذاته، تأثر بالتَّرِكة الاستعمارية التي خلفتها فرنسا وترك تأثيرًا ملحوظًا مسَّ جوانب من اللغة والتاريخ وشوَّش على مفهوم الهوية وحتى الجغرافيا.

لذلك، ما فتئ المغرب منذ حصوله على الاستقلال من الحماية الفرنسية التي استغرقت زهاء نصف قرن، أن سعى إلى وضع نظام تعليمي يتجاوب مع متطلبات دولة عصرية ومستقلة. وتوجهت خطة الدولة أولًا نحو إيجاد حلول لمعضلة الأمية، وتمكين الأطفال من الولوج إلى المدرسة ابتداء من السن السابعة (الجابري، 1985، ص: 15).

وبموازاة ذلك، انصبت جهود القائمين على التعليم على إعادة النظر بشكل كامل في البرامج التعليمية الموروثة عن فرنسا الاستعمارية حتى تستجيب لشروط الواقع الجديد، واستهدفت عملية مراجعة هذه البرامج غايتين اثنتين؛ تعريب التعليم والتربية الوطنية، ووضع مقررات مدرسية تعزز هذا الاتجاه.

لكن المغرب لم يكن حينها يتوفر على ما يكفي من الأطر المحلية لإنجاز هذه المهمة، مما دفعه إلى طلب مساعدة بهذا الخصوص من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) في العام 1962.

وهكذا شرعت وزارة التعليم المغربية في تنفيذ خطة على مدى ثلاث سنوات، من 1965 إلى 1967، من بين أهدافها خلق مدرسة وطنية موحدة تقوم على دمج نوعين من التعليم كانا سائدين، ويتعلق الأمر أولًا بتعليم تقليدي لا يتلاءم بشكل كافٍ مع متطلبات حقل العلوم، فيما يهم النوع الثاني التعليمَ العصري الذي لا يأبهُ بالتوجهات الوطنية ولا بالقيم العربية والإسلامية (STAM, 1965, p: 8).

القدس في الاهتمام الرسمي والشعبي بالمغرب

لم تحظ جِهةٌ أو بُقعةٌ خارج ديار المغرب الأقصى باعتزاز وعناية المغاربة مثلما حظيت به القدس، وكلّما كانت القدس ومعها المسجد الأقصى يتعرضان للتهديدات أو الأخطار

كان المغاربة، شعبًا وملوكًا، ينهضون عن بُكرة أبيهم للدفاع عنها ودعم أهلها من المرابطين المقدسيين (رضوان م.، القدس في عيون المغاربة، 2022، ص: 12).

ولم يكن اهتمام المغاربة بقضية فلسطين عامة يقتصر على الاحتجاجات والمساعدات والتضامن، وإنما كان يتجلى أيضًا في المواقف العملية والتحركات الدبلوماسية لصالح هذه القضية التي كانوا يعتبرون أنفسهم طرفًا فيها ومعنيين بها.

ويعتبر المغاربة القدس بمثابة «أمانة عُظمى» لا ينبغي التفريط فيها، ويجب بذل كل جهد لحمايتها ودعم أهلها. وكان هذا الاعتقاد يسود لدى معظم فئات المجتمع المغربي وطبقاته الحاكمة.

وفي العقود الأخيرة، ومنذ عهد السلطان محمد الخامس كان الوقوف إلى جانب الفلسطينيين والدفاع عن القدس والمسجد الأقصى في صلب الجهود الدبلوماسية المغربية.

ويُسجل للملك الراحل السلطان محمد الخامس موقفه الداعم للقضية الفلسطينية ورفضه لرُسوِّ باخرةٍ إسرائيلية بميناء الدار البيضاء أثناء خضوع المملكة لسلطة الحماية الفرنسية، ولم يتردد الملك محمد الخامس في إرسال وليّ عهده آنذاك الحسن الثاني، رحمه الله، إلى سلطات الحماية لينقل إليها احتجاجه الشديد ضد وجود باخرةٍ عدُوَّةٍ في المياه المغربية (رضوان م.، القدس في عيون المغاربة، 2022، ص: 21).

وفي مغرب الاستقلال، أبى محمد الخامس، رحمه الله، إلا أن يقوم بزيارة للقدس في العام 1960م، تأكيدًا لمؤازرة المقدسيين، وتعبيرًا عن الروابط المتواصلة بين المغاربة وهذه المدينة المباركة.

وعندما حاول اليهود إحراق المسجد الأقصى في آب/ أغسطس 1969م، دعا الملك الراحل الحسن الثاني إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي، تمخض عنه قيام منظمة المؤتمر الإسلامي، وقد انبثق عن المنظمة الإسلامية لجنة القدس، التي عُهد برئاستها إلى المغرب في شخص الحسن الثاني، ولخِلفه الملك محمد السادس، وذلك تقديرًا للدور الذي قام به المغاربة في

الدفاع عن قضية القدس والمسجد الأقصى.

وللحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لمدينة القدس وتراثها الديني والحضاري، تم في 1998م استحداث «وكالة بيت مال القدس الشريف»، التي تقوم بمساهمة محمودة في إنقاذ مدينة القدس وتقديم العون للمقدسيين، وللمؤسسات الفلسطينية في المدينة المقدسة والحفاظ على المسجد الأقصى المبارك والأماكن المقدسة الأخرى بالمدينة وتراثها الحضاري والديني والثقافي والعمراني وترميمها من خلال موارد الوكالة المالية التي تُساهم المملكة المغربية بأزيد من 80 في المائة من قيمتها (رضوان م.، القدس في عيون المغاربة، 2022، ص: 23).

وعلى الصعيد الدبلوماسي، ظل المغرب يوظف إمكاناته وعلاقاته الخارجية كافة لخدمة القضية الفلسطينية، وحماية القدس، والحفاظ على مكانتها ودعم أهلها من المقدسيين المرابطين في هذه الأرض المباركة.

ويمثل «نداء القدس» الذي وقعه الملك محمد السادس، رئيس لجنة القدس من جهة، والبابا فرانسيس (بابا الفاتيكان) أثناء زيارته للمغرب يومي 30 و31 آذار/ مارس 2019م، وثيقة في غاية الأهمية بالنظر إلى الظرفية الصعبة التي تمر منها مدينة القدس وما تتعرض له من أحداث وخطوب وسياسات لتهويدها وطمس هويتها وانتهاك مقدساتها الإسلامية والمسيحية على يد الاحتلال الإسرائيلي.

وقد اعتُبر نص «نداء القدس» بمثابة وثيقة مرجعية تكرس مكانة القدس كأرض للتعايش والسلام، لذلك حظيت بقبول وترحيب واسعين من قبل عدة شخصيات رمزية وهيئات دولية وبلدان عربية وإسلامية وأجنبية.

وإلى جانب الأهمية الرمزية التي تكتسيها هذه الوثيقة، فإن توقيعها على أرض المملكة المغربية وخلال زيارة أكبر شخصية رمزية دينية مسيحية تبرز دور المغرب في الدفاع عن القدس وتعزيز طابعها الخاص كمدينة مقدسة ذات بعد روحي وهوية فريدة.

وعلى الصعيد النضالي، ساهم المغاربة في الكفاح ميدانيًّا من أجل القدس والقضية الفلسطينية إلى جانب عدد من أبناء الأمة العربية، وهو ما أدى إلى اعتقال إسرائيل لثلاثة من المغاربة في سجونها في عامي 1971 و1972م، ويتعلق الأمر بالمغربيتين غيثا ونادية برادلي، والمغربي محمد أمزغار (LA CROIX – ROUGE, p. 407).

ولم يتخلف المقدسيون والفلسطينيون ذوو الأصول المغربية عن الدفاع عن أرضهم وهويتهم الفلسطينية والاضطلاع بواجبهم النضالي منذ بدأت بوادر النكبة عام 1948م، وما تسببت فيه من معاناة وألم شديدين لا زالت آثاره الوخيمة مستمرة إلى اليوم.

كما شارك المغاربة مشاركة عملية في تأسيس الجبهة العربية الداعمة للثورة الفلسطينية التي انعقدت ببيروت في سنة 1972م، وكان المغرب ممثلًا في هذه اللجنة من هيئات متعددة منها؛ الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، وحزب الاستقلال، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وحزب التقدم والاشتراكية، والاتحاد المغربي للشغل، والاتحاد العام للشغالين (القادري، 1989، ص: 18).

وعلى المستوى الثقافي والمعرفي، يبذل المغرب جهودًا للتعريف بقضية القدس من خلال ندوات ومحاضرات ولقاءات بهدف غرس التعلق بهذه المدينة المقدسة في نفوس الناشئة، وطباعة الكتب والمخطوطات التي تؤرخ للقضية وللحق العربي فيها، ويعكس إحداث «المركز الثقافي المغربي» بالقدس مظهرًا ملموسًا لهذا الاهتمام المغربي المتواصل بهذه المدينة المقدسة.

لكن إلى أي حد ينعكس هذا الاهتمام السياسي والدبلوماسي والثقافي بالقدس في المناهج المدرسية المغربية؟

القدس في المنهاج الدراسي المغربي

بالنظر إلى حجم الاهتمام الرسمي والشعبي الواسع بموضوع القدس في المغرب، فإن هذا الاهتمام لا تعكسه، في حقيقة الأمر، مقررات المنهاج الدراسي الموجه للتلاميذ والطلبة

المغاربة لأسباب بيداغوجية وليس لخلفيات سياسية أو فكرية.

وإذا كانت بعض المقررات الدراسية تتناول موضوعة القدس ضمن رؤية عامة للقضية الفلسطينية، فإنه مما يلفت الانتباه في هذا السياق أن المنهاج الدراسي المعتمد لتلاميذ السلك الابتدائي يخلو تمامًا من الإشـــارة إلى القـــدس أو القضية الفلســـطينية، بينما تضم مقررات المســـتويين الإعدادي والثانوي مواد تتناول أحد هذين الموضوعين أو هما معًا؛ أي القدس والقضية الفلسطينية.

غياب موضوعة القدس في المنهاج الدراسي لسلك التعليم الابتدائي

يكتسي المنهاج الدراسي لسلك التعليم الابتدائي بالمغرب أهمية خاصة بالنسبة للقائمين على قطاع التعليم من جهة، وللمدرســـين والتلاميذ والمهتمـــين التربويين من جهة أخرى. ولذلك ما انفك هذا المنهاج الدراسي يخضع لعملية المراجعة والتجديد والتطوير لملائمته مع المستجدات المعرفية والتربوية والتكنولوجية.

وقـــد عملت مديريـــة المناهج بوزارة التربيـــة الوطنية على إعداد صيغـــة للمنهاج وِفق التوجهـــات المُحدّدة في الرؤية الإســـتراتيجية 2015 – 2030، وتنزيـــلًا لمقتضيات القانون الإطار 17. 51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين، وقد استغرق التحضير لهذه الصيغة أزيد من أربع سنوات.

ويبدو أن الهاجس الذي تحكَّم في صياغة هذا المنهـــاج كان ديداكتيكيًّا أي متعلقًا بطرق التدريـــس وتقنياته أكثر منه معرفيًّـــا؛ بمعنى توجَّهَ الاهتمامُ نحو فنون التدريس وأســـاليبه ومنهجيته، أكثر من العناية بالتلقين المعرفي والعلمي باعتبار أن المعرفة أو المعلومة أصبحت اليوم متوفرة في مختلف الوسائط التعليمية والتواصلية.

لذلـــك، تم تنظيم المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي في قســـمين اثنـــين، قام أولهما على الإطار التوجيهي العـــام الذي يضم الاختيارات والتوجهـــات الوطنية والغايات الكبرى لنظام التربية والتكوين، وكذلك الاختيارات البيداغوجية وتصريف البرامج الدراسية، فيما

همَّ القســمُ الثاني التنظيم الجديد للبرامج الدراسية، والتي اشتملت ثلاثة مجالات منسجمة ومتكاملة، وهي؛ مجال اللغات، ومجال الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا، ثم مجال التنشئة الاجتماعية والتفتح.

ويتبين من خلال هذه الأطر التنظيمية للمنهاج الدراسي أنها استبعدت المجالات المعرفية التاريخية أو الجغرافية أو حتى الدينية، التي يمكن أن تكون ملائمة لاستحضار الموضوعات أو الرمــوز المتصلة بها، بما في ذلك مــواد اللغة العربية والتربية الإســلامية والاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا).

فمادة اللغة العربية في مقررات المنهاج لمستويات السلك الابتدائي تهدف إلى تهيئة التلاميذ لاكتساب القدرة على التعبير الشــفهي والكتابي والقراءة، وتلقينهم بعض قواعد التراكيب والصرف والتحويل والإملاء والشكل.

وإذا كانت مادة التربية الإســلامية لهذا الســلك تحتوي على جُــذاذات ضمن مكونات مقرراتهــا المتمثلة في مكــون القرآن الكريــم، والعقائد والعبادات والآداب الإســلامية، والحديث النبوي والسيرة النبوية، فإن هذه الجذاذات لا تتضمن مع ذلك أية إشارة من هذا القبيل لا إلى القدس ولا إلى فلسطين.

ويؤاخذ تربويون ومدرسون مغاربة لمادة التربية الإسلامية في هذا المستوى على واضعي هــذه المقررات خلوّها من مفردات أو إشــارات إلى موضوعي القدس والمســجد الأقصى (العدواني، 2023، ص: 110) ضمن المداخل الأساســية لهذه المادة، التي تشتمل في المقابل على إشارات في شكل صور إلى عدد من المساجد الكبرى كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء..

وبالنسبة لمتخصصين في مجال التعليم بالمغرب، فإنه إذا كان مطلوبًا وضع مناهج دراسية فعالة وممارسة تربوية حديثة ومتطورة تقود إلى استثارة قدرات المتعلم منذ سنواته الدراسية الأولى على الإبــداع وتحفيزها، فإن ذلك لا ينبغي أن يكون على حســاب تغذيته بالمعارف

التي ترسخ شعوره بهويته وانتمائه وارتباطه بقضايا وطنه وأمته كقضية فلسطين والقدس أو المسجد الأقصى على سبيل المثال، وهي وظيفة أساسية من وظائف التعلم والتعليم.

وتعد الاستجابة للحاجيات الحقيقية للمتعلمين جزءًا أساسيًّا من وظيفة التعليم التي قد تتحول بعض مقارباتها باسم التجديد أو نشر قيم التعايش والتسامح، إلى أداة لتطويع البشر وترويضهم وبرمجتهم وفق أنماط غربية وغريبة (الدريج، 2013، ص: 48).

صورة القدس في المنهاج الدراسي لسلك التعليم الإعدادي

تعدّ الوثيقةُ الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية التعليمَ الإعدادي جزءًا من التعليم الثانوي ومرحلة انتقالية بين التعليم الابتدائي والسلك التأهيلي، وهو بهذا المعنى يمثل مرحلة وُسطى في المسار الدراسي للمتعلم.

ويتكون السلك الإعدادي من ثلاث سنوات تعليمية، يتدرج فيها المتعلم عبر مسار تربوي تعليمي منسجم مع وتيرة نموه الجسدي والنفسي في أبعاده العقلية والوجدانية. وقد تمت صياغة مقررات هذا المنهاج وفق الاختيارات والتوجهات العامة المعتمدة والتي تتوزع على ثلاثة مجالات، وهي؛ مجال القيم، ومجال الكفايات، ومجال المضامين.

ويبدو أن مجالي القيم والمضامين يمثلان سياقين ملائمين لاستحضار النصوص والرموز ذات الدلالات والمعاني المرتبطة بالقدس والمسجد الأقصى، ولاسيما في مواد التربية الإسلامية واللغة العربية والاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا)، باعتبار أن القيم والمضامين التي يسعى المنهاج إلى إبرازها في وعي وسلوك المتعلم تتمثل في قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

وبالفعل، تشمل مضامين بعض مواد المنهاج لهذا السلك نصوصًا مفصلة للقضية الفلسطينية، فيما تكتفي بإشارات محدودة ومختزلة إلى القدس والمسجد الأقصى.

فمادة التربية الإسلامية للسنة الثانية من هذا السلك تتضمن صورة للمسجد الأقصى مُرفقة بمطلع سورة الإسراء، وذلك في سياق الدعوة إلى وجوب تعظيم شعائر الله التي تنقسم إلى شعائر زمانية ومكانية (إحياء التربية الإسلامية للسنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، 2017 ب، ص: 27).

وفي درس الإسراء والمعراج، وما كان فيها من مناجاة لنفس المستوى التعليمي، تظهر صورة المسجد الأقصى لدعم النص القرآني الرئيسي المتمثل في الآية الأولى من سورة الإسراء (إحياء التربية الإسلامية للسنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي – وزارة التربية الوطنية، 2017 أ، ص: 78).

وبعنوان «مكانة القدس»، يتحدث نص في مادة اللغة العربية للسنة الثالثة إعدادي عما تمثله القدس بالنسبة للمسلمين، وما قيل عنها في خُطبٍ مشهورة بعد استعادتها من الفرنج على يد صلاح الدين الأيوبي، بحيث هبّ الخطباء حينها يخطبون في الناس ويشيدون بالنصر، ومن أهم تلك الخطب خطبةٌ ألقاها العالم الدمشقي القاضي محيي الدين في المسجد الأقصى عقب دخول العرب بيت المقدس (وزارة التربية الوطنية، 2017 ج، ص: 57).

باستثناء هذا النص الذي يتحدث بصيغة واضحة ومباشرة في عنوانه ومتنه عن القدس في المنهاج الدراسي للسلك الإعدادي، نجد نصوصًا أخرى تتناول بشكل عام القضية الفلسطينية في نصوص شعرية وتربوية وتاريخية.

وفي هذا السياق، يمكن قراءة عدد من عناوين دروس مادة اللغة العربية، والتي تناولت جوانب مختلفة للقضية الفلسطينية ضمن نصوص قرائية وإبداعية متنوعة لكتّاب وشعراء فلسطينيين كسميح القاسم، ومحمود درويش، ومصطفى البرغوثي، وزينب عبد السلام عبد الهادي حبش.

وتشتمل هذه النصوص المدعومة بعضها بصور لقبة الصخرة والمسجد الأقصى على أبعاد دينية ووطنية وأخلاقية وإنسانية، فيما يعكس بعضها صورًا من وحشية الصهاينة في

البطش بالفلسطينيين ومعاناة هؤلاء من الاحتلال الإسرائيلي.

وفي هذا الإطار، تستعرض دروس الاجتماعيات للسنة الثالثة من السلك الإعدادي تطورات القضية الفلسطينية من خلال تتبع جذورها، ومحاولات تقسيم فلسطين وتصاعد المقاومة، والتطورات التي مرَّ بها الصراع العربي – الإسرائيلي ومراحله منذ 1948م، وردود الفعل الفلسطينية على الاحتلال الإسرائيلي.

صورة القدس في المنهاج الدراسي لسلك التعليم الثانوي

يعدّ التعليم الثانوي مرحلة تخصص التلميذ التي تمنحه التأهيل اللغوي والمفاهيم العلمية والتقنية الضرورية، والتي من شأنها أن تمكنه من ولوج التعليم العالي أو التكوين المهني للاندماج بالتالي في البحث العلمي أو في عالم الشغل.

وتهدف البرامج التعليمية المعتمدة في مختلف الشعب بهذا السلك، الذي يتوزع على ثلاث سنوات (الجذع المشترك، أولى ثانوي، وبكالوريا) إلى ضمان الاندماج الاجتماعي والثقافي للتلميذ عن طريق تعميق معارفه حول التاريخ والحضارة الوطنية، وتنمية روح الفضول لدى التلميذ وانفتاحه عن طريق اكتساب المعلومات العامة التي تمكنه من التعرف على أهم الثقافات والحضارات الإنسانية، كما يهدف التعليم الثانوي منح التلميذ تعليمًا عامًّا نظريًّا أدبيًّا أو علميًّا لتنمية قدراته الذهنية في أفق إعداده لولوج الدراسات العليا. ويتفرع التعليم الثانوي إلى ثلاث شعب، وهي؛ الآداب العصرية، والعلوم التجريبية، والعلوم الرياضية.

وبينما تخلو مقررات مستوى الجذع المشترك لهذا السلك الثانوي من أية إشارة إلى القدس أو القضية الفلسطينية، نجد المستويين الآخرين (أولى، وثانية بكالوريا) تهيمن على بعض مقرراتهما مواضيع عامة عن القضية الفلسطينية ولم يُخصص فيها للقدس كموضوع مركزي سوى نص حكائي بعنوان «الطريق إلى القدس» (وزارة التربية الوطنية، 2019 أ، ص: 26) .

وقد أدرج هذا النص في المجزوءة الأولى المخصصة للوصف، لذلك فهو نص وصفي

لعناصر الزمـــان والمكان والحدث، وهو مقتطـــف من مؤلف بعنـــوان «رحلة ابن بطوطة الجديدة» (مودن، 1998).

ومع أن صاحب النص، الكاتب المغربي عبد الرحيم مودن (1948 – 2014م)، اشـــتغل في هذا المتن على وصف عدة حواضر، قام بزيارتها خلال رحلته إلى الشـــام، كمدينة الخليل وبعلبـــك وطبرية، إلا أنه توقف في وصف مكثف لمدينة القدس الشريف التي عدَّها أشرف الأماكن باعتبارها تضم المســـجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين، وقبة الصخرة التي عرَّج منها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ويتميز هذا النص بكونه مفعمًا بمشـــاعر وأحاســـيس السارد تجاه القدس، حيث يقول؛ «تركنا القدس الشريفة جسدًا، وبقيت أرواحُنا بهذا المكان هائمة..».

وفي معـــرض هذا الوصف، ركّز الكاتب على المكانـــة الحضارية والدينية لمدينة القدس، مســـتعملًا معجمًا دينيًّا من قبيل: الأرض الطاهرة، وقبور الأنبياء والرسل، وثالث الحرمين الشريفين، وقبة الصخرة.

في نفـــس المقرر، تبرز صورة القدس أيضًا في نص آخر يحمل عنوان «العودة»، وهو نص مقتطف من رواية (عائد إلى حيفا) للكاتب والروائي الفلسطيني غسان كنفاني، وقد برزت هذه الصورة في معرض وصف الكاتب للأشـــياء التي تغيرت، وكذلك الأشياء التي ظلت عـــلى حالها في البيت الذي عـــاد إلى زيارته، وفي مقدمتها صورة القـــدس المعلقة على جدار البيت.

وإذا كان البيت الموصوف في هذا النص يرمز إلى الوطن (فلسطين)، فإن التغييرات تدل على محاولات التهويد التي تتعرض لها الأرض الفلســـطينية، فيما تؤكد الأشـــياء التي ظلت ثابتـــة (صورة القدس المعلقة) على حال فشـــل هذه المحـــاولات في طمس المعالم الحضارية العربية الإسلامية.

وفي درس بمقـــرر اللغـــة العربية لتلاميذ جـــذع العلوم وجذع التكنولوجيا لمســـتوى

البكالوريـــا (الثانوية العامة)، نجد نصًّا بعنوان «الشـــعر والحرية» (منار اللغة العربية جذع العلوم وجذع التكنولوجيـــا – وزارة التربية الوطنية، 2018 أ، ص: 132)، وهو عبارة عن شعر مقتبس من قصيدة (حرية شعب) للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان.

وفي هذا النص الشـــعري إصرار قوي من الشـــاعرة على المقاومة من أجل حرية وطنها (فلسطين) حيث تقول في أبياتها «سأظل أحفر اســـمها وأنا أناضل، في الأرض والجدران، في الأبواب، في شُرف المنازل، في هيكل العذراء، في المحراب، في طرق المزارع في كل مرتفعٍ ومنحدرٍ ومنعطف وشارع، في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق..».

وفي سياق شعر المقاومة والنضال الفلســـطيني، يضم المقرر الدراسي لطلبة البكالوريا، شعبة التعليم الأصيل والآداب والعلوم الإنسانية نصين من الشعر التفعيلي، أحدهما بعنوان «الأرض» (وزارة التربية الوطنية، 2019 ب، ص: 196)، والثاني بعنوان «عودة يوليســـيز» (وزارة التربية الوطنية، 2019 ج، ص: 197)، وهذا النص الأخير مُقتطف من ديوان سميح القاســـم، وفيه تأكيد لاستعداد الشـــاعر للتضحية بكل شيء في ســـبيل المقاومة والتحرير، وإصراره على تحدي المحتل ومقاومته من أجل تحرير بلاده فلسطين، وهو موقف لا يخلو من تفاؤل الشاعر بالانتصار وعودة كل فلسطيني إلى أرضه.

صورة قبة الصخرة كرمز للقدس عامة، وللمســـجد الأقصى خاصة، تتصدر نصًّا سرديًّا آخر لغسان كنفاني اختير له كعنوان «الأفق وراء البوابة» في درس مقرر لطلبة شعبة التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية لمستوى البكالوريا (في رحاب اللغة العربية جذع التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية – وزارة التربية الوطنية، 2018 ب، ص: 18).

ويحكي هذا النص معاناة شـــاب فلســـطيني يعيش همًّا وتعبًا وحزنًا قبل اللقاء بينه وبين خالته وبعد اللقاء بينهما، مركزًا على حدث رئيسي يتعلق بفقدان الشـــاب لأعزِّ أقربائه (أمه وأخته) في ظل عيش تفرقة إجبارية.. معتمـــدًا زمنًا تداخل فيه الماضي والحاضر عن طريق

عملية الاســترجاع، وموظفًا عدة أمكنة تختلف دلالاتها كـ«يافا» و«عكا»، ويقصد الكاتب بذلــك إبراز تبعات الاحتلال الصهيوني لأرض فلســطين، والمتمثلة في التهجير والترحيل والحصار والقتل.

وإذا كانت مقررات اللغة العربية تحفل بهذه النصوص الأدبية والشــعرية، فإن مقررات التاريخ تُعنى بتطور القضية الفلســطينية بشــكل عام، ومن ضمنها قضية القدس، وتحمل دروس التاريخ عناوين مباشرة كالقضية الفلســطينية، وجذور القضية وأشــكال التمركز الصهيوني، والقضية الفلســطينية والصراع العربي – الإسرائيلي، أو عناوين ضمنية كتصفية الاستعمار وبروز العالم الثالث.

لكن هذه المواضيع تشــغل الدرس كامــلًا في حصص قد يصل عددهــا إلى أربعة من الغــلاف الزمني، وعلى امتداد عدة صفحات من المقرر قد يتجاوز أربع أو خمس صفحات، مع تضمينها بعض الوثائق كتلك التي تشــير إلى الصراع بين فلســطين وإسرائيل حول مياه الضفة الغربية، أو تلك التي تشير إلى توصيات حركة عدم الانحياز لحل القضية الفلسطينية.

غــير أن كل ذلك لم يحجب أصواتًا تنتقد محدودية حضور القدس والقضية الفلســطينية في المناهج التعليمية المغربية، ولاســيما غيابها في منهاج السلك الابتدائي، مما جعل المغرب لم يســلم، إلى جانب عدد من البلدان العربية الأخرى، من الجدل الذي أثير في الفترة الأخيرة حول خلفيات تهميش واقع القدس وفلسطين في مناهج التعليم والمقررات المدرسية.

خلفيــات الجدل المرتبط بموضوع القــدس والقضية الفلســطينية في المناهج التعليمية العربية: حالة المغرب

يكاد التربويون والمهتمون بالقضية الفلسطينية يُجمعون على ضعف حضور واقع القدس وفلســطين في المناهج التعليمية العربية بصورة عامة، وذلك لأسباب مختلفة رغم حضورها القوي في وجدان الشعوب العربية والإسلامية وفي شعارات الحركات الفكرية والجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية.

وهناك اتجاهان لتفسير هذا الموقف يتم التعبير عنهما في وسائط الإعلام المختلفة مما يجعل البعض يتجه بهذا الموضوع نحو قراءات واستنتاجات سياسية مغالية، فيسقط في نظريات المؤامرة والتخوين وصهينة أو أسرلة المناهج الدراسية العربية، بينما يجتهد بعض المسؤولين لتفسير هذا الموضوع بدواعٍ تربوية وتعليمية وديداكتيكية صرفة لا علاقة بها بالتأويلات السياسية.

ويرى الاتجاه الأول أن التغييرات التي خضعت لها كثير من المناهج العربية في الفترة الأخيرة، وخاصة ما يرتبط منها بقضية الصراع العربي – الإسرائيلي أو قضية القدس، تُعزى إلى إملاءات خارجية وضغوطات من قبل مؤسسات ومنظمات غير حكومية تقوم بمراقبة وتقويم مضامين هذه المناهج، مما يجعل بعض البلدان تضطر إلى تغييرها بدعوى تحديث هذه المناهج وتطويرها (العزاوي، 2010، ص: 172).

وبينما يربط أنصار هذا الاتجاه تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية وقضية القدس في المناهج العربية بمسارات التطبيع مع كيان الاحتلال الإسرائيلي، يجادل آخرون أن المناهج التعليمية التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي، والتي كانت محملة بأفكار وشعارات وطنية وقومية تتلاءم مع تلك المرحلة أصبحت في حاجة إلى تطويرها وفق مقاربة إدارة الجودة الشاملة في التعليم في ضوء التسارع المعرفي والتكنولوجي والاحتياجات الجديدة للمتعلمين والمجتمع (عطية، 2015، ص: 30).

إلا أنه رغم كل المسوغات التربوية والتعليمية، ظلت قضية تراجع حضور موضوع القدس والقضية الفلسطينية في المقررات الدراسية مثار الاهتمام ومحور النقاش في كثير من البلدان العربية، ولاسيما منها تلك التي اختارت منحى معينًا من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، وقد يأخذ ذلك النقاش مدى بعيدًا بحيث تعتبر أصواتٌ أن تقليص حيز هذا الحضور هو مظهر آخر من مظاهر التطبيع ودعم للرواية الإسرائيلية حول تهويد المدينة

وأطماعها في الاستحواذ على المسجد الأقصى، بل إن من تلك الأصوات ما اعتبرت ذلك صورة من صور انتهاك حرمة بيت المقدس والمسجد الأقصى.

وينطلق المنتقدون من فرضية أن المنهج التعليمي والدروس المنبثقة عنه يمثل صورة النظام التربوي، الذي هو في النهاية انعكاس للنظام السياسي المحكوم عادة باتجاهات وميول سياسية للحاكمين وللقوى المؤثرة فيه (مركز الأبحاث والدراسات التربوية، 2024).

غير أن هذا الموضوع أخذ أبعادًا أخرى في المغرب أثارت جدلًا واسعًا في بعض الصحف ومواقع التواصل الاجتماعي، مما دفع بوزارة التربية الوطنية والتعليم المغربية إلى التدخل ببيانات توضيحية لدحض بعض الأخبار والمعلومات التي اعتبرتها «مزيفة»، والتي ذهبت إلى حد الادعاء بأن أحد المقررات الدراسية بالمستوى الثالث إعدادي تضمن نصًّا يعتبر «القدس عاصمة لإسرائيل»، وهو ما نفته الوزارة «نفته نفيًا قاطعًا»، وقالت إن ما تم تداوله بهذا الخصوص لا صلة له إطلاقًا بالمنظومة التربوية المغربية، ولا علاقة له بالكتب المدرسية المغربية (موقع Le 360، 2018).

وبالنسبة لحجم حضور موضوع القدس والقضية الفلسطينية في المقررات الدراسية المغربية، انتقد عدد من المتابعين للموضوع تراجع هذا الحضور، بل إن النقاش بهذا الخصوص وصل إلى البرلمان المغربي بعد أن تم توجيه سؤال كتابي بتاريخ 18 كانون الثاني/ يناير 2024 إلى وزير التربية الوطنية والتعليم الأوَّلي حول حذف درس «القضية الفلسطينية» و«الصراع العربي الإسرائيلي» ضمن بعض الدروس الأخرى من مادة الاجتماعيات في الدورة الثانية للسنة الثالثة إعدادي (مجلس النواب، د. ت).

ومما جاء في هذا السؤال النيابي، أنه «في إطار تنزيل الوثيقة المرجعية في شأن تكييف البرامج الدراسية لكانون الثاني/ يناير 2024، تم حذف بعض الدروس في مادة الاجتماعيات، وهذا أمر منطقي يقتضيه تكييف المقرر مع الزمن الدراسي، لكن غير المفهوم هو حذف دروس في غاية الأهمية والإبقاء على أخرى. ففي مادة التاريخ تم حذف درس «القضية الفلسطينية»

و«الصراع العربي الإسرائيلي» بالرغم من الظرفية التي تعيشها دولة فلسطين الشقيقة بسبب الاعتداءات المتكررة للكيان الصهيوني وأهمية إحياء القضية بالنسبة للتلاميذ، مع أن هناك دروسًا كانت أولى أن تحذف مثل درس «ظاهرة الأنظمة الديكتاتورية». غير أن الوزارة المعنية فندت ما تم ترويجه عن حذف درس القضية الفلسطينية من مادة الاجتماعيات، في إطار تنزيل الوثيقة المرجعية في شأن تكييف البرامج الدراسية لكانون الثاني/ يناير 2024، ونقل عن مسؤول المناهج بالوزارة أن ذلك «غير صحيح ولا أساس له ومجانب للصواب» (درداف، 2024).

وبالنسبة لعدد من المهتمين بالشأن التربوي بالمغرب، وعلى غرار نظرائهم بكثير من البلدان العربية، فإن المناهج التعليمية المغربية لا تعكس حضور ومكانة القدس والأقصى في المغرب الذي يرأس لجنة القدس وتحتضن عاصمته وكالة بيت مال القدس الشريف، التي تعتبر الذراع المالي والاجتماعي للجنة، ويبذل المغرب عبر هذه اللجنة والوكالة التابعة لها مجهودات كبيرة لدعم حق الفلسطينيين في دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس الشريف طبقًا للشرعية الدولية.

ويعتقد مدرسون ومسؤولون سابقون في قطاع التعليم أن الحضور المحدود لبيت المقدس ومكانته الدينية والتاريخية في المقررات المدرسية المغربية، ولاسيما في مواد التاريخ والتربية الإسلامية واللغة العربية، من شأنه أن يفتح المجال لتأويلات وقراءات مُغرضة، كما أن من شأن هذا الغياب أن يجعل القضية التي تعتبرها القيادة المغربية في صلب اهتماماتها ولا تقل أهمية عن قضية الوحدة الترابية، موضوعًا يقع على الهامش بالنسبة لهذا الجيل والأجيال القادمة، ولا يعدو أن يكون لحظات تعاطف ظرفية تنتهي بسكوت الإعلام عمّا يجري يوميًّا على أرض الواقع (الصمدي، القدس في مناهجنا التعليمية بالمغرب، 2023).

ويدعو أصحاب هذا الرأي إلى بناء رؤية متوازنة لضمان حضور قضية القدس والمسجد الأقصى والقضية الفلسطينية في المنظومة التربوية، مع إبراز جهود المغرب في دعم القضية باستثمار خطب ورسائل عاهل البلاد في الموضوع، والتضحيات التي قدمها المغرب عبر

التاريخ دفاعًا عن القضية، والجهود العلمية والأكاديمية والمؤسساتية الفاعلة في هذا المجال، وذلك وفق قواعد علمية وبيداغوجية وتاريخية متوازنة تعكس أهمية القضية ومركزيتها وتضمن استمرار حضورها في وجدان المغاربة، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، وفاءً لمواقف المغربية التاريخية والحضارية غير قابلة للتجزيء ولا المراجعة (الصمدي، القدس في مناهجنا التعليمية بالمغرب، 2023).

خاتمة

تبين أن واضعي المنهج التعليمي المغربي ينظرون إلى موضوع القدس في سياق تطورات القضية الفلسطينية منذ الانتداب البريطاني، وما تتعرض له اليوم من مخططات وسياسات كيان الاحتلال الإسرائيلي التي يتصدى لها الفلسطينيون بكل أشكال المقاومة المتاحة.

ومع أن قضية القدس وفلسطين تحظى بحيز واسع في الخطابات السياسية والجهود الدبلوماسية وأشكال الدعم المختلفة المادية والثقافية والإعلامية للمغاربة، فإن حجم هذا الحضور لا يعكسه المنهج التعليمي المغربي الحالي، مما فتح المجال لنقاشات وتأويلات عكست مخاوف من أن يكون مرد ذلك إلى آثار ضغوطات تُمارسها قوى خارجية على مختلف البلدان العربية، بما فيها المغرب.

ويظهر أن من المفارقات التي توقفت عندها هذه الدراسة خلو المنهج التعليمي للسلك الابتدائي من أية إشارة إلى القدس أو فلسطين مع أن هذه المرحلة تبدو أساسية في ترسيخ المعاني والصور والرموز في أذهان الناشئة حديثة العهد بمرحلة التعلم والمعرفة.

صحيح أن التركيز على هذا الموضوع يبدو واضحًا نسبيًّا في السلكين الإعدادي والثانوي نظرًا لمستوى الإدراك لدى التلميذ والطالب، لكن المرحلة الابتدائية، هي الأخرى تبدو أكثر ملاءمة لغرس القيم والمفاهيم المرتبطة ببيت المقدس، وفتح الوعي المبكر لدى النشء بالمكانة الدينية والرمزية للمقدسات بهذه المدينة التي ارتبط بها المغاربة جيلًا بعد جيل منذ فترات بعيدة حتى أصبح تاريخ القدس جزءًا من تاريخ المغاربة عبر إحدى أشهر بواباتها وحاراتها ومآذنها المقرونة باسمهم في هذه المدينة المقدسة.

لكــن لا بد من التنويــه إلى أن هناك مجهودًا موازيًا للمنهج التعليمي المغربي يســعى إلى استحضار فلسطين والقدس والمسجد الأقصى في الفضاء القرائي المدرسي والطلابي والمعرفي بصورة عامة، ويتعلق الأمر بالمجهود الذي تقوم به وكالة بيت مال القدس الشريف التابعة للجنة القدس، التي يرأسها العاهل المغربي.

ويتجــلى مجهود الوكالة في إصدار العديد من المنشــورات التي تتنــاول مواضيع مختلفة عن القدس، ولاســيما ما يرتبــط منها بعلاقة المغاربة ببيت المقــدس، وكذا مختلف البرامج والمشــاريع التي تقوم بإنجازها للإسهام في الحفاظ على الهوية التاريخية والثقافية والحضارية للمدينة ولدعم أبنائها المرابطين.

ولعل سلسلة «الكراسات المقدسية» (رضوان م.، كراسات مقدسية، 2023) الموجهة للأطفال والشــباب والتي أصدرتها الوكالة تمثل جانبًا من تعزيز حضور موضوعة القدس وعلاقة المغاربة بهــذه المدينة في الفضاء القرائي للأجيال المغربية الصاعدة، لاســيما أن الوكالة تحرص على عرض هذه الكراسات في معارض الكتب الدولية والجهوية، وخاصة تلك الموجهة للأطفال والشباب.

وضمن هذه السلســلة، نجد عناوين من شــأن مضامينها الحفاظ عــلى روابط المغاربة بالقــدس، وتتمثل هذه العناوين في كل من: «باب المغاربة وحارتهم بالقدس»، و«الصِّلات المغربية للمســجد الأقــصى المبــارك.. الرَّبعة المغربيــة نموذجا»، و«العائلات المقدســية والفلســطينية ذات الأصول المغربية»، و«وقفيات المغاربة بالقدس الشريف»، و«القدس في صلب العلاقات الدبلوماسية بين المملكة المغربية والكرسي الرسولي بالفاتيكان»، و«جوانب مشرقة من المشترك النضالي المغربي الفلسطيني».

وفي سياق تحفيز اهتمام الطفولة بعلاقة المملكة المغربية بالقدس، أصدرت الوكالة كراسة منفردة بعنوان «رحلة الطفولة المقدســية إلى الديار المغربية.. ســفراء المملكة في فلسطين»، والذي يتناول التقليد السنوي الذي درجت عليه الوكالة بتنظيم لقاءات مباشرة بين أطفال القــدس والأطفال المغاربة على أرض المملكة في إطار المخيمات الصيفية التي يشــارك فيها عشرات الأطفال من تلاميذ المدارس بالقدس وفلسطين عمومًا.

قائمة المراجع بالعربية

- الجابري، محمد عابد. (1985). **أضواء على مشكل التعليم بالمغرب**. الدار البيضاء: دار النشر المغربية.
- درداف، سلمى. (30/ 01/ 2024). «وزارة التعليم تكشف حقيقة حذف درس القضية الفلسطينية». (30 كانون الثاني/ يناير، 2024). تم الاسترداد من مدار (20/ 5/ 2024):

  https: / /madar21.com /212877.html

- الدريج، محمد. (2013). «التدريس بالملكات، نحو تأسيس نموذج تربوي أصيل في التعليم». **مجلة التدريس**. العدد (3). ص: 61 – 43.
- رضوان، محمد. (2023). **كراسات مقدسية**. الرباط وكالة بيت مال القدس الشريف، المحرر.
- رضوان، محمد. (2022). **القدس في عيون المغاربة**. الدار البيضاء: لبيبوك للكتاب والنشر.
- رضوان، نسرين محمود محمد. (2022). «القدس في قلب التربية الوجدانية للطفل الإسرائيلي «دراسة تحليلية». **مجلة تطوير الأداء الجامعي**. المجلد (17). العدد (1). ص: 77 – 103.
- الصمدي، خالد. (12/ 10/ 2023). «القدس في مناهجنا التعليمية بالمغرب». تم الاسترداد في 20/ 05/ 2024 من هوية بريس:

  / القدس – في – مناهجنا – التعليمية – بالمغرب/ https: / /howiyapress.com

- العدواني، خالد مطهر حسين. (2023). «واقع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية العربية». **مجلة جامعة صعدة**. المجلد (1). العدد (3). ص: 91 – 122.
- العزاوي، دهام محمد. (2010). صورة الإسلام في الغرب، خلل التفكير ودوافع التبرير. **مجلة شؤون عربية**. العدد (144). ص: 166 – 190.
- عطية، محسن علي. (2015). **الجودة الشاملة والمنهج**. عمان، الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- القادري، أبو بكر. (1989). **المغرب والقضية الفلسطينية منذ عهد صلاح الدين إلى إعلان الدولة الفلسطينية** (الإصدار 1). الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- مجلس النواب. (د. ت). السؤال النيابي رقم 14486. حذف بعض الدروس من مادة الاجتماعيات في الدورة الثانية للسنة الثالثة إعدادي (14486). المغرب: **مجلس النواب**.
- مركز الأبحاث والدراسات التربوية. (12/ 02/ 2024). التقرير العلمي للملتقى التربوي رقم

(9) للعام 2023 (فلسطين في الكتاب المدرسي). يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 20/ 05/ 2024):
https: / /www.esrc.org.lb /post /4537 /

– مودن، عبد الرحيم. (1998). **رحلة ابن بطوطة الجديدة**. الرباط: دار الثقافة.

إصدارات وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني والبحث العلمي

– وزارة التربيــة الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهنــي والبحث العلمي. (2017 أ). إحياء التربية الإسلامية للسنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي (الإسراء والمعراج).

– وزارة التربيــة الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني والبحث العلمي. (2017 ب). إحياء التربية الإسلامية للسنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي (تعظيم حدود الله وشعائره).

– وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني والبحث العلمي. (2017 ج). الأســاسي في اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي (مكانة القدس).

– وزارة التربية الوطنية. (2019 أ). المنير في اللغة العربية (الطريق إلى القدس).

– وزارة التربيــة الوطنيــة. (2019 ب). المنير في اللغة العربية جذع التعليــم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية (الأرض).

– وزارة التربيــة الوطنية. (2019 ج). المنــير في اللغة العربية جذع التعليــم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية (عودة يوليسيز).

– وزارة التربية الوطنية. (2018 أ). منار اللغة العربية جذع العلوم وجذع التكنولوجيا (الشعر والحرية).

– وزارة التربية الوطنيــة. (2018 ب). «في رحاب اللغة العربية جذع التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية (الأفق وراء البوابة)».

– موقــع (Le 360). (10/ 09/ 2018). وزارة التربية توضح حقيقــة ورود عبارة «القدس عاصمة إسرائيل بالمقررات الدراسية. تاريخ الاسترداد 22 05، 2024، من:
https: / /ar.le360.ma /societe /139904 /

– وزارة التربية الوطنية. (2019 د). المنير في اللغة العربية (الأرض).

– مديرية المناهج بــوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي. (2023). المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي. 6.

المراجع الأجنبية

– LA CROIX – ROUGE, D. E. (s. d.). Des prisonniers de guerre au Moyen – Orient.

– STAM, H. (1965). Manuels scolaires pour le Maroc. Mission.